

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تصديير

للأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد

عنى علماء العرب بالنقد الأدبيّ في تاريخٍ مُبكرٍ ، فوصل الينا أوّلاً بطريق الرواية الشفوية في القرن الأول والقرن الثاني ، ثم بطريق الكتب التي ألّفها منذ القرن الثالث ثعلب وابن المعتزّ وقدامة بن جعفر . وقد كانت هذه الروايات والمؤلفات النقدية وسيلة لتقويم الأساليب الأدبية وصقل الأذواق . فقد تناول العلماء في تقديم الشعراء فجعلوهم طبقات ، ثم نقدوا إنتاجهم ، وحدّثوا معنى « الفن الشعري » الذي سّموه « صناعة الشعر » ، وقد جمع تقديم اللفظ والمعنى معاً ، بل ذهبوا في نقد المعاني مذهباً أبعد ، فأرخوا لها ، فذكروا أوّل من ابتكر المعنى ومن أخذ عنه ، ومن أضاف إليه فحسّنه أو نقص منه فردّه رديئاً . وهذه ناحية تفرّد بها الأدب العربي ونقّاده القُدّامي .

هذا الكتاب الذي تقدمه اليوم هو كتاب نادر في نقد الشعر ، لم يعرفه أحدٌ قبل اليوم ، ولم ينوّه به الأدباء والدارسون المُحدّثون . ألّفه أبو أحمد العسكري المتوفى سنة ٣٨٢ هـ وسّماه « المصون » ، كأنه يشير إلى نفاسته . وكنا عثرنا عليه في الاسكوريال عام ١٩٥٤م ، ورأينا يومئذ أنه من الأصول الجيدة التي ينبغي أن تظهر للعلماء . ثم وابت الفرصة ؛ فكان من جملة

الكتب التي اختارتها دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت لكي تحقق وتنتشر . ذلك لأن الكتاب المعروف في النقد وهو « الصناعتين » قد اعتمد عليه واستقى منه . فكان أبو أحمد العسكري سابقاً إلى طرق هذا الموضوع قبل أبي هلال العسكري ، وكان « المصون » مصدرراً من مصادر « الصناعتين » ، و« ديوان المعاني » كما أشار إلى ذلك بحق محقق الكتاب الأستاذ عبد السلام هارون .

ولا شك أن هذه الأصول التي ألفت في القرون الخمسة الأولى ، هي التي ينبغي تقديمها ونشرها ، لأنها المصادر الأصلية لثقافتنا العربية والاسلامية .

*

ومحقق الكتاب ، الأستاذ عبد السلام هارون ، مشهور معروف . وهو من السباقين في مضمرة تحقيق النصوص . نشر عدداً كبيراً من أممات الكتب ، كالحيوان للجاحظ ، والاشتقاق لابن دريد ، والحماسة للمرزوقي ، وخزانة الأدب للبغدادى ، والمفضليات ، والأصمعيات ، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس . وأصدر مجموعة من الرسائل المخطوطة النادرة ، قارب عددها الثلاثين ، فأثاره تدل على علمه وفضله . وقد قبل ، عندما اقترحنا عليه تحقيق هذا الكتاب ، أن يضيف إلى آثاره القيمة أثراً جديداً شأنه كبير وأصالته واضحة .

فلعلّ هذا الكتاب يكون مرجعاً للباحثين في النقد الشعري عند العرب ، ولعلّه يكون أيضاً معلماً للأدب وصاقلاً للأذواق لمن شاء أن يكون أديباً حقاً . فمثل هذه الكتب هي التي تصنع الأديباء قبل كل شيء .

صلاح الدين المنجد

القاهرة ١٩٦٠

(ب)

مقدمة المحقق

أبو أحمد العسكري :

هو أبو أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد بن زيد بن حكيم العسكري . ونسبته إلى عسكر مكرم ، وهو بلد مشهور من نواحي خوزستان . ومكرم هذا هو مكرم بن مغراء بن الحارث ، أحد بني جَعْرُونَ بن الحارث بن نمير بن عامر بن صعصعة .

ويلتبس اسمه باسم تلميذه أبي هلال العسكري ، واسمه أيضا الحسن بن عبد الله (١) ، توافق اسماهما واسم والديهما . وقد روى بعضهم أن أبا هلال كان ابن أخت أبي أحمد (٢) .

وكان أبو أحمد عالما فاضلا ، راوية متقنا ، موصوفا بالعبقة ، وكان يتبرز - أي يبيع البز من الثياب - احترازا من الدناءة والتبذل . وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

ولد أبو أحمد سنة ٢٩٣ وتوفي سنة ٣٨٢ .

شيوخه وتلاميذه :

وقد روى العسكري عن أبي بكر بن دريد وطبقته من العلماء . كما روى عن أبي بكر محمد بن يحيى الصولي ، كما يظهر ذلك بكثرة في هذا الكتاب وكما نقل أبو هلال في ديوان المعاني وفي الصناعتين . فالصولي شيخ أصيل لأبي أحمد وإن كان قد غفل عن ذلك المترجمون له .

(١) أبو هلال العسكري هو الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى . توفي سنة ٣٩٥ .

(٢) ياقوت ٨ : ٢٦٣ .

وروى أبو أحمد أيضا عن أبي القاسم البغوي ، وأبي داود السجستاني ،
ونفطويه ، وأبي جعفر بن زهير ، وأكثرَ عنهم وبالغ في الكتابة . وبقي حتى
علت به السن واشتهر في الآفاق بالدراية والإتقان ، وانتهت إليه رياسة
التحديث والإملاء للآداب والتدريس بقُطر خوزستان ، ورحل إليه الأجلاء
للأخذ عنه والقراءة عليه .

وكان يملئ بعسكر مكرم وتستر ومدن ناحيته ما يختاره من على روايته
عن متقدمي شیوخه .

فروى عنه أبو عباد الصائغ التستري ، وذو النون بن محمد ، والحسين
ابن أحمد الجهمي ، وابن العطار الشروطي ، وأبو سعد أحمد بن محمد بن
عبد الله بن الخليل الماليني ، وأبو الحسين محمد بن الحسن بن أحمد الأهوازي
شيخا أبي بكر الخطيب البغدادي ، وكذا الحافظ أبو نعيم الأصفهاني وخلق
سواهم لا يُحصون كثرة .

وأخص تلاميذه به في الأدب والنقد هو أبو هلال العسكري . والمتصفح
لكتاب أبي هلال : ديوان المعاني (١) يلمح رواية واسعة لأبي هلال عن
شيخه أبي أحمد الذي يروي عن شيخه أبي بكر الصولي ، وكذا يجد هذا
متصفح أوائل كتاب الصنائع لأبي هلال .

أبو أحمد والصاحب ابن عباد :

وقد لمع أبو أحمد في عصر الصاحب ، وكان الصاحب أبو القاسم إسماعيل
ابن عباد يتمنى لقاء أبي أحمد العسكري ويكاتبه الفينة بعد الفينة ، ويستميل
قلبه فيعتل عليه هذا بالشيخوخة وعلو السن ، فلما يئس منه احتال في أن
يوفده السلطان إلى ناحية عسكر مكرم ليحظى بلقاء هذا الشيخ ، فقال لمخدومه

(١) نشره القدسي في سنة ١٣٥٢ في جزأين .

مؤيد الدولة بن بويه : « إن عسكر مكرم قد اختلّت أحوالها وأحتاج إلى كشفها بنفسى » . فأذن له مؤيد الدولة فسافر إلى عسكر مكرم وتوقع أن يزوره أبو أحمد ، ولكن أبا أحمد لم يزره فكتب إليه الصاحب :

ولما أيتّم أن تزوروا وقتلتم ضعفنا فلم نقدر على الوخدانِ
أتيناكم من بعد أرضٍ نزوركم وكم منزلٍ يكرٍ لنا وعوانِ
نسائلكم هل من قيرى لزيابكم بملء جفونٍ لا بملء جفانِ

وكتب مع هذه الأبيات شيئا من النثر ، فجأوبه أبو أحمد عن النثر بنثر مثله ، وعن هذه الأبيات بالبيت المشهور :

أهمُّ بأمر الحزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوانِ
فلما وقف الصاحب على الجواب عجب من اتّفاق هذا البيت له ،
وقال : والله لو علمت أنه يقع له هذا البيت لما كتبتُ إليه على هذا الروى .
ويذكرون أنه بعد أن كتب هذا الجواب نهض وقال : لا بدّ من الحمل
على النفس ، فإنّ الصاحب لا يُقنعه مثل هذا ! فركب بغلةً وقصده فلم
يتمكّن من الوصول إلى الصاحب لاستيلاء الحشم ، فصعد تلعةً ورفع صوته
بقول أبى تمام :

مالى أرى القبة الفيحاء مقفلةً دونى وقد طال ما استفتحت مقفلها
كانّها جنة الفردوس معرضة وليس لى عملٌ زاكٍ فأدخلها
قالوا : فناداه الصاحب : ادخلها يا أبا أحمد ، فلك السابقة الأولى . فتبادر
إليه أصحابه فحملوه حتى جلس بين يديه ، فسأله عن مسألة فقال أبو أحمد :
« الخبير صادفت » فقال الصاحب : يا أبا أحمد ، تُغرب في كلّ شيء حتى
في المثل السائر (١) . فقال : تفاعلت عن السقوط بخضرة مولانا :

(١) أصل المثل : « على الخير سقطت » .

وبذلك زادت منزلته عند صاحب ، ونال منه أوفر حظ ، وأدرّ عليه
وعلى المتصلين به إدراراً كانوا يأخذونه إلى أن توفي .
وقد زناه صاحب بقوله :

قالوا مضى الشيخ أبو أحمد وقد رثوه بضروب التمدب
فقلت ماذا فقد شيخ مضى لكنّه فقد فنون الأدب
كتبه :

ذكر المترجمون منها :

١ - التصحيف والتحريف ، وهو أشهر كتبه ، وقد طبعت قطعة منه
سنة ١٣٢٦ . وعلمت أن الكتاب يعاد طبعه الآن كاملاً في مصر .

٢ - تصحيح الوجوه والنظائر .

٣ - الحكم والأمثال .

٤ - راحة الأرواح .

٥ - الزواجر والمواعظ .

٦ - علم النظم ، وسماه ياقوت صناعة الشعر .

٧ - ما لحن فيه الخواص من العلماء .

٨ - المختلف والمؤتلف ، في مشتهه أسماء الرجال .

٩ - الورقة ذكره أبو هلال العسكري في ديوان المعاني ١ : ٢٨

وانظر لترجمة أبي أحمد العسكري هذه المراجع :

إنباه الرواة للقفطي ١ : ٣١٠ - ٣١٢

أنساب السمعاني ٣٩٠

بغية الوعاة للسيوطي ٢٢١

- تاريخ ابن الأثير ٧ : ١٨٨
تاريخ أبي الفداء ٢ : ١٣٣
تاريخ ابن كثير ١١ : ٣٢٠
خزانة الأدب ، للبيدادي ١ : ٩٧
ابن خلكان ١ : ١٣٢
روضات الجنات ٢١٦
شذرات الذهب ٣ : ١٠٢
كشف الظنون ٤١١ ، ٦٧٥ ، ٨٢٩ ، ٩٥٦ ، ١٥٤٨ ، ١٦٣٧
مرآة الجنان ٢ : ٤١٥
معجم الأدباء ٨ : ٢٣٣ - ٢٦٧
معجم البلدان ٦ : ١٧٦
النجوم الزاهرة ٤ : ١٦٣

الكتاب المصون

لم أجد من ذكره في ثبت كتبه ، ولكن الكتاب بسنده وروايته وما فيه من النصوص التي استوعب معظمها تلميذه أبو هلال في ديوان المعاني ينطق بأنه كتاب أبي أحمد .

ونسخة الأصل التي نشرنا منها هذه النسخة نسخة وحيدة محفوظة بمكتبة الاسكوريال تحت رقم 377 ، اهتدى إليها الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد ، وتكرم مشكوراً فكلّفني تحقيقها عن صورة محفوظة في معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية ؛ بعد أن اعتمدت دائرة المطبوعات والنشر بحكومة الكويت تحقيقه ونشره ضمن سلسلة التراث العربي التي اضطلعت بها خدمة منها للثقافة العربية .

وعلى صدر هذه النسخة تمليكات خمسة كلها غير واضح القراءة ، كما يرى في مصورة صدر الكتاب الملحقة بهذا التقديم .

والكتاب مخطوط بخط نسخي واضح مع الضبط والتقييد التام ، ولم يعرف كاتب النسخة وإن كان الخط وقاعدته يوحى بأنه من رجال القرن السابع .
وجاء في ختام النسخة : « تم الكتاب المصون والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله وسلم كثيرا » .

ويعدّ أبو أحمد العسكري في الرعيّل الأول من كتّاب النقد .

وقد بدأ أبو أحمد كتابه بفصول في نقد الشعر ، وهو يردّ معايير النقد إلى الذوق الشخصي والإحساس الفني ، ويرى أنه لا علاقة بين النقد والإنتاج « فقد يقول الشعر الجيد من ليس له المعرفة بنقده ، وقد يميّزه من لا يقوله » .

وينقل من أقوال الأدباء قول الجاحظ : « أجود الشعر . . » وقول ابن الأعرابي وغيره في « التضمين »

كما ضمّن كتابه موازنات بين الشعراء : هذا أشعر أم ذلك ؟ ولم ؟ ثم يجرى على نهج كان سائدا عند النقاد الأوائل إذ يقولون : أحسن ما قيل في اللون كذا ، وأحسن ما قيل في السنّ أو العين أو الرثاء أو الهجاء أو المدح ، أو المراء أو السّيل أو الدرّع كذا .

ويعقد فصلاً لأحسن ما قيل في الأوصاف والتشبيه ، وفصلاً لما يستحسن من تشبيهات شاعر عصره عبد الله بن المعتز^(١) ، وفصلاً لما وقع من مליح التشبيه للمحدثين ، مع موازنة تلك التشبيهات بتشبيهات الأقدمين .

ويقسم تشبيه العرب إلى أربعة أضرب : تشبيه مفرط ، وتشبيه مصيب ،

(١) ولد ابن المعتز سنة ٢٤٦ وتوفي سنة ٣١٥ .

وتشبيهه مقارب ، وتشبيهه يحتاج إلى التفسير ولا يقوم بنفسه .

ويعقد كذلك فصلا للتشبيهات العجيبة ، وللتشبيهات المشهورة ، وللسرقات الشعرية وتسلسل المآخذ ، ثم يمدنا بمختارات من جيد الشعر مقرونة بتفسيرها ، وبأشعار أخرى قصد بها أصحابها المعايمة ، ولا سيما قصيدة ذى الرمة الرائية .

ولا يقصر جهده في النقد على نقد الشعر ، بل يسرد لنا فصولاً من النثر ، ونماذج من الكتب والجوابات والمخاطبات ، وكلام الأعراب وأهل البادية ، والفصحاء من الخلفاء والوزراء والأدباء ونماذج أخرى من التوقيعات .

والكتاب يعد بحق في طليعة كتب النقد العربي ، كما يعد أبو أحمد من مؤسسي المدارس النقدية الأولى ، ويكفيه فخراً أن يكون شيخاً لأبي هلال العسكري زعيم المدرسة النقدية المعروفة .

عبد السلام محمد هارون

